**السنة الثالثة: دراسات لغوية**

[**المحاضرة**](https://www.oudnad.net/spip.php?article1486) **1**

**مدخل إلى الأدب الجزائري القديم**

قبل الوقوف على مفهوم الأدب الجزائر وطرح بعض المفاهيم والإشكالات التي تعتريه، وجدنا من الجدير بنا الوقوف على الخصائص التاريخية والجغرافية للمنطقة في القديم، والتي لازالت محل نقاش لقلة وضياع كثير من المؤلفات.

ومهما يكن من أمر فإن الأدب الجزائري أفرزته مراحل تاريخية متعاقبة تكونت من الجزائري المحلي والأمم المتعاقبة، وانصهرت كلها وتفاعلت عبر قرون واندمجت في الأخير لتقدم أدبا جزائريا عربا متميزا بخصوصيته، أدب يخضع لبيئته بكل عناصرها ومجتمعه بعاداته وأفكار.

**أصل السكان:**

في القرن الثالث قبل الميلاد وفد إلى شمال إفريقيا قبائل من جزيرة العرب من أبناء مازيغ بن كنعان ابن حام ابن نوح عليه السلام، ثم هاجرت إليها قبائل من فلسطين قد فرت من يشوع بن نون، ومنها عرب يمانيون جاؤوا مع "افريقش أحد ملوك اليمن ومنهم قبيلتي كتامة وقبيلة صنهاجة، ومنها أقوام أتت من الأندلس مع قدوم اليونان إلى المنطقة، وكل هذه الأقوام والأجناس امتزجت بالسكان الأصليين مكونيين عبر قرون عنصر البربر، وهو اسم أطلقه عليم اليونان ثم الرومان، كونهم أجانب عنهم ولا يتكلمون لغتهم، والقبائل العربية التي عمرت الجزائر تتفرع من ثلاث قبائل كبيرة: صنهاجة وكتامة وزناتة .

وكانت لغتهم بسيطة ثم تطورت بمرور الزمن متأثرة بلغات الأمم التي استوطنتهم (وكانت حروف اللغة البربرية عبارة عن رسوما، وكان الخط البربري يتركب من عشر حروف يسمونها" تيفيناغ من وضع البشر، وهذا الخط على قول"فوكولد" يستحيل تدوين الكتب به، ولم يبقى له أي أثر في إفريقيا الشمالية سوى بالصحراء عند الطوارق، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الخط البربري القول إن اللغة البربرية حديثة العهد حديث العهد يرجع اختراعه إلى ماصينيصا في القرن الثالث قبل الميلاد وضعه على نمط الحروف الهجائية الفينيقية) ، لشدة تأثره بحضارتهم ورغبته في تطور شعبه بهم.

لقد قدم الفينيقيون إلى شمال إفريقيا بسبب التجارة واندمجوا مع سكان المنطقة بسهولة، لأنهم لم يكونوا مستعمرين كما كانت روما، وقد أعجب بهم **ماسينيسا** موحد البربر بعد قضائه على **سيفاكس،** وتعلم الفينيقية وفتح مدارس عدة لتعليم شعبه وتطويره، حتى صارت لغة يتكلم بها غالبية السكان البرابرة

وبمجيء الرومان- الذين كان لهم الوجه الاستعماري- إذ ضيقوا الخناق على السكان وأهانوهم وسلبوا منهم الأراضي الخصبة وثاروا ضدهم بزعامة يوغرطة الذي سرعان ما قضت عليه روما

لقد كان للرومان الحضور القوي سياسيا وثقافيا وأدبيا في ذلك الوقت، وحاولوا التأثير على الأهالي بترسيخ حضورهم وبث سلطتهم وتعميم لغتهم، وبرغم إعراض السكان إلا أنه برزت فئة أقبلت على لغتهم وثقافتهم ومنهم **يوبا** **الثاني**، وأسقف بونا القديس **اوغستين**، **وأبطات** راهب مدينة ميلة، **وبوسيديوس** أسقف قالمة وهو مؤرخ القديس أوغستين وكلهم تعلموا اللاتينية وصبغوها بصبغة وطنهم وحافظوا في ذلك على أصلهم وهويتهم ، إلى جانب صاحب أول رواية في تاريخ الإنسانية **أبوليوس، وديوان الأزاهير**

لقد وُجد الأدب في الجزائر منذ القديم، ورافق التحولات عبر التاريخ هذا يا يقره كثير من الباحثين مقدمين في ذلك آراء ومستندين إلى جملة من المعطيات الثقافية والتاريخية، وعليه كل أديب ولد في الجزائر أو مكث فيها واستوطنها طوال حياته أو توفي بها فهو جزائري، بحكم ذلك التأثر والتشابك والمصاهرة والاندماج نتيجة طول المدة.

والسبب في ذلك يرجع لقلة المصادر عن الأدب الجزائري إن لم نقل غيابها، ولكثرة ما ضاع من تراثنا وإهماله.

**تعريف الأدب الجزائري القديم**:

هو مجموع الأعمال الأدبية والنصوص التي كتبت من قبل كتاب جزائريين، عاشوا في الجزائر أو قضوا فيها حقبة معينة من حياتهم أين تفاعلت مخيلتهم، والواقع الجزائري فعكسوا سيمات هذا المجتمع، من خلال موضوعات تعد من خصوصية الثقافة الجزائرية القديمة. والقديم مفهوم زمني بحت، وهو صفة متعلقة بالأدب الجزائري في مرحلة بدأت من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية.

**نشأت الأدب الجزائري:**

لقد أرخ عبد الملك مرتاض في كتابه الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، بداية الأدب الجزائري من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية نسبة إلى مؤسسيها عبد الرحمن بن رستم زعيم الخوارج الإباضيي، وكانت عاصمة الرستميين مدينة تيهرت، والجدير بالذكر أن الدولة الرستمية تمثل صدر الإسلام بالجزائر (القرن الثاني هجري/الثامن الميلادي) ومؤسسها عبد الرحمن بن رستم .

ومن الشخصيات البارزة: الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن، الذي ترك خطبا ورسائل ذات طابع سياسي ديني، بالإضافة إلى مقتطفات شعرية، أبو سهل، وله مصنفات احترقت في الفتن التي أصيبت بها تيهرت في أواخر الحكومة الرستمية، أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار، أحمد بن فتح التاهرتي انتقل إلى المغرب الأقصى وكان أديبا وشاعرا، بكر بن حماد له ديوان شعري بعنوان "الدر الوقاد"، وتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغاربي.

**فترة الأغالبة:**

اتخذ الأغالبة "طبنة"، الواقعة وسط إقليم الزاب الجزائري عاصمة لحكمهم. وأصبحت "طبنة" قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية والأدبية ومن الأسماء البارزة على عهد الأغالبة محمد بن حسين الطبني، وظهر إسحاق الملشوني، نسبة إلى "ملشون"، وهي قرية من قرى بسكرة؛ وأبو الفضل عطية الطبني؛ وأبو العباس محمد البريدي، وهو أحد كتاب الدولة الأغلبية.

**الفترة الفاطمية:**

اتخذ الفاطميون من "المسيلة" عاصمة لهم، فقصدها أرباب الثقافة والفضل في ذلك يرجع إلى مؤسسها وواليها علي بن حمدون، يمثل هذه الفترة خير تمثيل الشاعر الكبير بن هانئ الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب وبالذات إلى منطقة الزاب.

**الفترة الصنهاجية** :

كان زعيم الصنهاجيين بلقين بن زيري بن مناد واليا على الجزائر، واستطاع أن يحقق للمغرب العربي ما لم يستطعه حكام المغرب قبله، وغدت الدولة الحمادية أول دولة بربرية بالجزائر الإسلامية، وكانت عاصمتها القلعة. وكانت العربية هي اللسان الرسمي للدولة الحمادية مع أن رؤساءها برابرة لكون العربية لغة القرآن والدين.

وقد ازدهر الأدب في فترة الحماديين من حيث الكم، وأما من جهة الكيف فظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية، وإن كان قد ضاع نتاج هذه الفترة بسبب الاضطرابات، إلا أن هناك رجالا جزائريين عاشوا في تونس وصل إلينا شيء من آثارهم الأدبية ومن هؤلاء:أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني، ابن رشيق القيرواني الذي خلف ما يربو على ثلاثين كتابا، منها "الشذوذ في اللغة"، و"العمدة"، وهذا الأخير كتاب نقدي متصل بقضايا الشعر، عبد الكريم النهشلي وهو أستاذ الحسن بن رشيق القيرواني، ابن قاضي ميلة: ابن الربيب: كتب في النثر والشعر، ورسالته عن ابن حزم الأندلسي أكبر شاهد على تفوقه في النثر الفني. كما تدل هذه الرسالة على أن الجزائريين كانوا على بينة من أخبار الملوك والأمراء والكتاب والوزراء، يوسف أبو الفضل بن النحوي وقد تفنن في شعر التوسلات والابتهالات واشتهر بقصيدته المعنونة بـ: "المنفرجة"، أبو عبد الله بن محرز بن محمد الوهراني صاحب "المنامات".

**الفترة الحفصية** :

من أبرز أدبائها محمد بن حسن القلعي، أحمد بن أبي القاسم الخلوف شاعر الحفصيين دون منازع.

مع القرن السابع الهجري، بدأ الأندلسيون في الهجرة إلى الجزائر، وكان حظ تلمسان من المهاجرين الأندلسيين أوفر من غيرها، فكثر النتاج الأدبي، وازدهر فن التوشيح الذي تعود أصوله في الجزائر إلى القرن الخامس هجري مع الشاعرين الكبيرين الأريسي وابن فكون. و في القرن السابع، اشتهر شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني

**فترة المرينيين:**

برزت في هذه الفترة أسماء أدبية جديدة كالملياني، ومحمد ابن مرزق الخطيب، وأحمد بن قنفد القسنطيني.

**الفترة العثمانية** :

لم يهتم الأتراك بالأدب ما جعل الضعف يدب في مفاصل الأدب على عهدهم، فغلب عليهم طابع الجفاف، ولم يظهر أدباء حقيقيون إلا في القرن الحادي عشر، ومنهم: أحمد المقري الذي ولد في تلمسان وخلّف ثروة أدبية منها "أزهار الرياض" و"نفح الطي و"عبد الكريم بن محمد الفكون، ومن مؤلفاته رسالة من نوع الإخوانيات.

**المراجع:**

/رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986.

/محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

/عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومه.

- عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، ط1، 1986.